محاضرة رقم ١	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	علوم القرآن والتربية الإسلامية
المادة باللغة العربية	علم التفسير
المادة باللغة الانجليزية	Science of interpretation of the Qur’an
المرحلة	الثانية
السنة الدراسية	٢٠٢٢- ٢٠٢٣
الفصل الدراسي	الأول
المحاضرة	الأولى
العنوان باللغة العربية	التعريف بالتفسير
العنوان باللغة الانجليزية	Introduction to the interpretation of the Qur’an
المصادر والمراجع	البرهان في علوم القرآن، للزركشي
	التفسير والمفسرون، للذهبي
	مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني

المحاضرة : الأولى

التعريف بالتفسير

التفسير في اللغة: التفسير مأخوذ من الجذر الثلاثي (ف س ر)، وتأتي هذه المادة للدلالة على معنى الكشف والإبانة، ومنه (فَسَّرتُ ذراعي) أي: كشفتها، وهذا هو الكشف الحسي.

ومنه قولهم (فسَّرتُ الكلام) أي: بينت معناه، وهذا هو الكشف المعنوي.

التفسير في الاصطلاح: عرف التفسير بتعريفات متعددة، وفيما يأتي بعض هذه التعريفات:

١- عرفه الطوسي بقوله: (علم معاني القرآن وفنون أغراضه من القراءة والمعاني والإعراب والكلام على المتشابه والجواب عن مطاعن الملحدين فيه وأنواع المبطلين.)

٢- عرفه الزركشي بقوله: (هُوَ عِلْمُ نُزُولِ الْآيَةِ وَسُورَتِهَا وَأَقَاصِيصِهَا وَالْإِشَارَاتِ النَّازِلَةِ فِيهَا ثُمَّ تَرْتِيبِ مَكِّيِّهَا وَمَدَنِيِّهَا وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها وَمُطْلَقِهَا وَمُقَيَّدِهَا وَمُجْمَلِهَا وَمُفَسَّرِهَا.)

٣- عرفه أبو حيان الأندلسي بقوله: (التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ.)

٤- عرفه الزرقاني بقوله: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية.)

نظرة نقدية في هذه التعريفات: بنظرة فاحصة لهذه التعريفات نجد أن التعريفات الثلاثة الأولى أدخلت في علم التفسير كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من علوم، فادخلوا فيه علوم اللغة من نحو وصرف واشتقاق وبلاغة وقراءات وتجويد وغيرها، وأرى أن هذه التعريفات فيها إدخال علوم ومعارف في التفسير وهي ليست منه، ذلك أن وظيفة المفسر هي بيان معاني القرآن؛ فليس عليه أن يبين كيف يقرأ، ولا عليه أن يبين إعراب كلماته إلا بالقدر الذي يتوقف عليه بيان المعنى، وهكذا، كما ان فيها مآخذ آخر هو طول هذه التعريفات، ومعلوم أنه لابد من أن يراعي الاختصار في التعريف، ومن آثار هذه التعريفات أننا نجد كتب التفسير مُلِئت بمعلومات لا علاقة لها بعلم التفسير، فالفقيه مثلا ملأ تفسيره بالمباحث الفقهية، واللغوي ملأ تفسيره بالمباحث اللغوية، وهكذا كل صاحب فن ملأ تفسيره بمباحث الفن الذي برع فيه.

أما التعريف الرابع فنرى أنه أقرب التعريفات إلى واقع علم التفسير ووظيفته، ويتفق مع معنى التفسير في اللغة الذي هو الكشف والبيان.

ولذلك سنشرح التعريف الأخير، فنقول:

عرف الزرقاني التفسير بقوله: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية)، فقوله ((علم يبحث فيه عن القرآن الكريم)) هذه العبارة دلت على ميدان هذا العلم، وهو القرآن الكريم، لذلك فمصطلح التفسير خاص بالقرآن الكريم، فلا يشمل الكلام على الكتب الإلهية التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل، ولا يشمل الكلام على السنة النبوية، وإنما هو خاص بالقرآن الكريم.

وهذه العبارة تشمل كل العلوم التي تبحث في القرآن الكريم من قراءات وإعراب وتفسير وغيرها، إلا أن كل علم من هذه العلوم يبحث في القرآن الكريم من جهة معينة، فمثلا علم التجويد يبحث في القرآن الكريم من جهة كيفية النطق بألفاظه، وعلم القراءات يبحث فيه من جهة اختلاف القراء في قراءته، وعلم إعراب القرآن يبحث فيه من جهة إعرابه .. وهكذا.

أما علم التفسير فيبحث في القرآن من ((جهة دلالته على مراد الله)) فهذه هي وظيفة علم التفسير: بيان ما أراده الله تعالى بالقرآن الكريم والكشف عن معانيه، ولكن هنا لابد من بيان أن الكلام في تفسير كثير من الآيات خاضع للاجتهاد القابل للخطأ والصواب، وكذلك فإن معاني

القرآن الكريم لا يمكن أن يحيط بها إنسان، لذلك قال الزرقاني في التفسير ((بقدر الطاقة البشرية)) وهذه العبارة تدل على أن المفسر إذا كان أهلا للتفسير وبذل وسعة في بيان معنى الآية فأخطأ في تفسيرها فإنه معذور؛ لأنه بذل ما بوسعه، كما دلت هذه العبارة على أنه لا يجب على المفسر أن يستوعب جميع معاني الآية التي يفسرها، فإذا فاتته بعض معاني الآية التي يتكلم عليها فلا حرج عليه طالما أنه بذل ما بوسعه في تفسيرها.

مفهوم التأويل:

التأويل في اللغة: التأويل مأخوذ من الجذر الثلاثي (أ و ل)، وهذه المادة تدل على ابتداء الأمر وانتهائه، ومنه قولهم (الأوَّل) وهو مبتدأ الشيء، ومن مجيء هذه المادة للدلالة على انتهاء الشيء قولهم (آل الرجل) أي: رجع، و(آل الرجل) هم أهل بيته لأنه يؤول – أي: يرجع إليهم.

التأويل في الاصطلاح: عرف التأويل بتعريفات متعددة وذلك بناء على اختلاف العلماء في التفريق بينه وبين التفسير، وفيما يأتي بيان مذاهب العلماء في التفريق بين التفسير والتأويل:

المذهب الأول: إن التفسير والتأويل مصطلحان مترادفان، معناهما بيان معاني القرآن الكريم بحسب الطاقة البشرية، وهذا قول أبي عبيدة معمر بن المثنى العالم اللغوي.

المذهب الثاني: إن التفسير بيان معاني القرآن على وجه الجزم لوجود دليل لدى المفسر، أما التأويل فهو بيان معاني القرآن بغلبة الظن والترجيح بين المحتملات لعدم وجود دليل قطعي لدى المتأول وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

المذهب الثالث: أن التفسير بيان معاني القرآن الظاهرة، والتأويل بيان معاني القرآن الباطنة، مثال ذلك قوله تعالى: ((إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)) فتفسير هذه الآية أن الله مطلع على كل ما يعمل الظالمون ويسجلها عليهم ليحاسبهم عليها، أما تأويلها فهو التحذير من التهاون بأمر الله ومن الغفلة عن الاستعداد للعرض والحساب يوم القيامة وهذا قول أبي طالب الثعلبي.

المذهب الرابع: التفسير حمل ألفاظ القرآن على ظاهرها ومعانيها الحقيقية، والتأويل هو حمل الفاظ القرآن على معانيها المجازية وهذا قول البغوي.

المذهب الخامس: التفسير بيان معاني القرآن عن طريق الرواية والمأثور، أما التأويل فهو بيان القرآن بالرأي والنظر واعمال العقل.

القول الراجح في التفريق بين التفسير والتأويل: القول الذي تميل إليه في التفريق بين التفسير والتأويل هو أن التفسير بيان معاني القرآن وإيضاح معاليه كما سبق، أما التأويل فهو ((هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.((

وهذا يعني أن التفسير والتأويل هما مرحلتان متتابعتان، فالمرحلة الأولى هي التفسير يفهم فيها المفسر معاني الآيات الكريمة ويبين المراد منها، أما المرحلة الثانية فهي التأويل التي يحاول المفسر فيها استنباط المعاني التي تتضمنها الآية عن طريق الإشارة، ولتوضيح هذا المعنى نضرب المثال الآتي:

سورة النصر: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣))، فتفسيرها هو أن الله تعالى أمر نبيه محمد ﷺ أن يكثر من تسبيح الله وحمده عندما يرى فتح الله تعالى لمكة ودخول الناس في الإسلام أفواجا... إلخ.

أما تأويل هذه السورة فهو بيان قرب أجل النبي محمد ﷺ، وهذا المعني استنبطه الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنها من هذه السورة، إذ فهم أن هذه السورة تشير إلى ارتباط حياة رسول الله ﷺ على الأرض بهذا الدين، وأن مهمته هي تبليغه وجهاد أعدائه، وبعد أن تحقق نصر الدين وانتشر في بقاع جزيرة العرب انتهت مهمته التبليغية وبهذا ينتهي عمره في هذه الدنيا.

معنى التأويل في القرآن الكريم:

ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم في عدة آيات، وقد ذكر العلماء أنه جاء في القرآن ليدل على ثلاثة معان:

المعنى الأول: بيان مراد المتكلم، وهو بهذا يرادف معنى التفسير، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ((وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)) أي: تفسير الأحلام والرؤى.

المعنى الثاني: الموجود الذي يؤول (أي: يرجع) إليه الكلام، أي: ظهور المتكلم به في الواقع المحسوس، فإذا كان الكلام خبراً فتأويله وقوع المخبر به، وإذا كان الكلام أمرا أو نهيا فتأويله

هو العمل بموجبه، ومنه قوله تعالى: ((بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)) أي: لم تقع الحقائق التي كذبوا بها من وقوع العذاب بالمكذبين بعد. المعنى الثالث: العاقبة: كما في قوله سبحانه: ((وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) أي: عاقبة.